

السمات البارزة للخلافة الالهية ومبادئ الحكم الاسلامى على ضوء الخطب والرسائل الرسمية للخلفاء الراشدين

الدكتور خالد محمود

ان تصور الخلافة الالهية الذى يؤخذ من القرآن الكريم والذى أقام عليه النبي صلى الله عليه وسلم الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة يتمثل بأكملة فى الخلافة الراشدة المستغرقة أكثر من ثلاثين سنة. لقد تربى الخلفاء الراشدون فى حضارة النبي صلى الله عليه وسلم فتلقوا عنه التصور النبوى للخلافة الالهية بكل وضوح وتدرّبوا عليه فى صحبته عليه السلام، فنجد السمات البارزة للخلافة الالهية ومبادئ الحكم الاسلامى فى خطب الخلفاء الراشدين التى القوها حيناً بعد حين والرسائل التى كتبوها الى عمّالهم وحكامهم، وتتضمن هذه الخطب والرسائل مبادئ الدولة الاسلامية الشاملة . فاذا أردنا احياء الحكم الاسلامى فى العصر الحديث لا بد لنا من الرجوع الى تلك الخطب والرسائل والاستنارة بها . فهى من المصادر والمراجع القيمة لنظرية الخلافة الالهية ، واذا طالعنا الخطب والرسائل للخلفاء الراشدين تبرز لنا السمات التالية :

(١) التسليم التام بحكم الله وسيادة القانون الالهي :

ان المبدأ الأساسى الذى تقوم عليه الخلافة الالهية يختلف عن المبادئ التى تؤسس عليها النظم الأخرى جميعا، ان الخلافة الالهية تقوم على أساس ان الحكم لله وحده فهو الذى وحده يشرع وأما النظم الوضعية فهى تقوم على فكرة السيادة للانسان فهو الذى يشرع لنفسه. وفى الخلافة الالهية يخضع الناس لالوهية الله وربوبيته، فلا يدعون لأنفسهم شرع القوانين والنظم، لان هذا الحق لله وحده فى الاسلام. وان حكومة المؤمنين فى أصلها خلافة عن الله مقيّدة بقانون الله ورسوله، وأن جميع المؤمنين يشتركون فى النيابة عن الله ، والرئيس هو الخليفة - ليس الحاكم - تحت سلطة الله العليا، ويعمل وفق القوانين التى أقرها الله تعالى فى كتابه وأرسلها بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأقر بذلك المبدأ الأساسى الخلفاء الراشدون حين تولّوا الخلافة ، واعترفوا بحاكمية الله فى خطبهم وفى الرسائل التى كتبوها الى العمال والولاة فنراهم دائما يذكرّون الحكام العاملين معهم بحاكمية الله وسيادة القانون الالهي -

لما بويع ابو بكر الصديق - رضى الله عنه - بالخلافة قام خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

،، أيها الناس ان الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمدا بالحق، وانتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة، ألف بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ، ومكن لكم دينكم وأورثكم سيرته الراشدة المهديّة، فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة، وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به الفتكم ويقم به كلمتكم، فأعينوني على ذلك بخير، ولم اكن لأبسط يدا ولا لسانا على من لم يستحل ذلك ان شاء الله ، وأيم

الله ما حرصت عليها ليلا ولا نهارا، ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية، ولقد قلدت أمرا عظيما، مالى به طاقة ولا يد، ولوددت انى وجدت أقوى الناس عليه مكاني، فأطيعونى ما أطعت الله، فاذا عصيت فلا طاعة لى عليكم، ثم بكى وقال : اعلموا ايها الناس انى لم أجعل لهذا المكان ان أكون خيركم، ولوددت ان بعضكم كفانيه، ولئن أخذ تمونى بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندى، وما انا الا رجل كأحدكم، فاذا رأيتمونى قد استقمتم فاتبعونى، وان زغت فقومونى، واعلموا أن لى شيطانا يعترينى أحيانا، فاذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم و أبشاركم»، (١) .

وقد ورد فى الكامل لابن الأثير : قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه - خطيبا ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ,, أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فاعينونى، وان أسأت فقومونى، الصدق أمانة ، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أخذ له حقه، والقوى ضعيف عندى حتى أخذ له الحق ان شاء الله تعالى ، لا يدع أحد منكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله»، (٢) .

وقد جاء فى الطبقات الكبرى :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : ,, اما بعد، أيها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكن نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا فعلمنا، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحق الحمق الفجور، وان أقواكم عندى الضعيف حتى أخذ له بحقه وان أضعفكم عندى القوى حتى أخذ منه الحق، أيها الناس انما انا متبع

ولست بمبتدع، فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني،» (٣) .

وله خطبة اخرى يبين فيها هذا المبدأ الأساسى :

أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الحذر وابن عساكر عن موسى بن عقبة أن ابا بكر الصديق كان يخطب فيقول : ,, الحمد لله رب العالمين، أحمده ونستعينه، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت، فانه قد دنا اجلى واجلكم، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا، لينذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا، أوصيكم بتقوى الله، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم وهداكم به» (٤) .

وقال فى خطبة له :

,, ثم اعلموا عباد الله ان الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم، واخذ على ذلك موثيقكم، واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله وانتصحو كتابه» (٥) .

ولما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه - ألقى خطبة فقال :

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال : ,, اقرأوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل ان توزنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية، أنه لم يبلغ حق ذى حق ان يطاع فى معصية الله» (٦) .

وذكر فى الكنز (٨ : ٢١) عن موسى بن عقبة قال : هذه خطبة

عمر بن الخطاب يوم الجابية : ,, اما بعد، فانى أوصيكم بتقوى الله الذى يفنى ماسواه ، الذى بطاعته يكرم أولياؤه، وبمعصيته يضل أعداؤه، فليس لهالك هلك معذرة فى فعل ضلالة حسبها هدى، ولا فى ترك

حق حسبه ضلالة، وان أحق ما تعاهد الراعى من رعيته ان يتعاهدهم بما
 لله عليه من وظائف دينهم الذى هداهم الله له، وانما علينا ان نأمركم بما
 أمركم الله به من طاعته، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وان
 نقيم فيكم امر الله عزوجل فى قريب الناس وبعيدهم ولا نبالى على من
 مال الحق» (٧) .

ووصية عمر بن الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح - رضى الله
 عنهما : ,, أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه، الذى هدانا من
 الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات الى النور « (٨) .
 ولما أراد أن يسرحه دعاه فقال :

,,انى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى يجتمع لك
 خشية الله، واعلم ان خشية الله تجتمع فى أمرين : فى طاعته واجتناب
 معصيته « (٩) .

ووصيته للعلاء بن الحضرمى - رضى الله عنهما :
 كتب عمر بن الخطاب الى العلاء بن الحضرمى - رضى الله عنهما -
 وهو بالبحرين ان :

,,سر الى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله فالخلق والأمر
 لله رب العالمين ، واعلم ان امر الله محفوظ بحفظ الذى انزله، فانظر
 الذى خلقت له» (١٠)

وكتابه الى أبى موسى الأشعري - رضى الله عنهما:

,,اما بعد، فان القوة فى العمل ان لا تؤخر عمل اليوم لغد، فانكم اذا
 فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم،
 فان خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخرة، فاختراروا أمر
 الآخرة على أمر الدنيا، فان الدنيا تفنى والآخرة تبقى، كونوا من الله
 على وجل وتعلموا كتاب الله فانه ينابيع العلوم وريبع القلوب» (١١)

وخطب عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بعد ما بويع بالخلافة:
 فقال : ,, اما بعد، فانى قد حملت وقد قبلت، الا وانى متبع ولست
 بمبتدع، الا : وان لكم على بعد كتاب الله عزوجل، وسنة نبيه صلى الله
 عليه وسلم ثلاثا : اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسن
 سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملاء، والكف عنكم الا فيما
 استوجبتم، الا، وان الدنيا خضرة قد شهيت الى الناس، ومال اليها
 كثير منهم، فلا تركنوا الى الدنيا ولا تتقوا بها، فانها ليست بثقة واعلموا
 انها غير تاركة الا من تركها «(١٢)

ولما قتل عثمان رضى الله عنه - فتشوا خزانته، فوجدوا فيها
 صندوقا مقفلا، ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوب فيها:

,,هذه وصية عثمان بسم الله الرحمن الرحيم . عثمان بن عفان يشهد ان
 لا اله الا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله، وان الجنة
 حق، وان النار حق، وان الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه، ان الله
 لا يخلف الميعاد، عليها يحى وعليها يموت وعليها يبعث ان شاء
 الله «(١٣)

وأول خطبة ألقاها على - رضى الله عنه - حين استخلف حمد الله
 وأثنى عليه، فقال : ,, ان الله عزوجل أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير
 والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض ادّوها الى الله سبحانه
 يؤدّكم الى الجنة. ان الله حرم حراما غير مجهولة، فضل حرمة المسلم
 على الحرم كلها، وشدّ بالاخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من
 سلم الناس من لسانه ويده الاّ بالحق ، لا يحل اذى المسلم الاّ بما
 يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فان الناس أمامكم،
 وانما من خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا، فانما ينتظر الناس اخراهم،
 اتقوا الله فى عباده وبلاده، انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم،

أطيعوا الله عزّوجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الشر فدعوه، واذكروا اذ انتم
 قليل مستضعفون فى الأرض»، (١٤)
 وقال فى خطبة أخرى له :

«الحمد لله، أحمده، وأستعينه، و أومن به، وأتوكل عليه،
 واشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده
 ورسوله، ارسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علتكم وليوقظ به
 غفلتكم » (١٥) .

ذكر ابن كثير فى البداية (٧ : ٣٠) ان عليا - رضى الله عنه -
 قام فيهم خطيبا، فقال : « الحمد لله فاطر الخلق، وقالق
 الاصباح، وناشر الموتى، وباعث من القبور، واشهد ان لا اله
 الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله، وأوصيكم بتقوى الله،
 فان أفضل ما توسل به العبد الايمان، والجهد فى سبيله،
 وكلمة الاخلاص فانها الفطرة واقام الصلاة فانها الملة، وايتاء
 الزكاة فانها من فريضته، وصوم شهر رمضان فانه جنة من عذابه،
 وحج البيت فانه منفاة للفقير مدحضة للذنب،
 أفيضوا فى ذكر الله فانه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد
 المتقون فان وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدى نبيكم صلى
 الله عليه وسلم فانه أفضل الهدى، واستسنوا بسنته فانها أفضل
 السنن، وتعلموا كتاب الله فانه أفضل الحديث وتفقهوا فى الدين
 فانه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فانه شفاء لما فى الصدور،
 وأحسنوا تلاوته فانه أحسن القصص، واذا قرئ عليكم فاستمعوا
 له وأنصتوا لعلكم ترحمون، واذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم
 به لعلكم تهتدون» (١٦) .

كتب على - رضى الله عنه - الى «الأشتر النخعى لما ولاه على

،،بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما امر به عبدالله على، أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث
الأشتر فى عهده اليه حين ولّاه مصر جباية خراجها وجهاد
عدوها، واستصلاح عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها، أمره
بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما امر به فى كتابه من فرائضه
وسننه التى لا يسعد أحد الا باتباعها.....» (٧)

والعبارات فى الخطب والرسائل التى أوردناها تتضمن
اعتراف الخلفاء الراشدين بربوبية الله : ،، الحمد لله رب العالمين،،
والوهيته : ،، لا اله الا الله وحده لا شريك له ،، واقرارهم بحاكمية الله
وحده وبسيادة القانون الالهى، ولم يدع الخلفاء الراشدون لانفسهم
حق اصدار القوانين ووضع الشريعة لانهم كانوا يعرفون حق المعرفة ان
الخلافة الالهية تؤسس على قاعدة محكمة وهى شهادة ان لا اله الا
الله ومتى تم التسليم بأن الألوهية لله وحده، تقرر أن الحاكمية فى حياة
البشر لله وحده فهم خاضعون لسيادة القانون الالهى، وان الخليفة
لا يطاع لذاته وانما يطاع لخضوعه هو لسلطان الله واقاراره له بالحاكمية
ثم لقيامه على شريعة الله ورسوله فليست هناك طاعة مطلقة لأوامره،
ولا يتمتع بالطاعة اذا ترك شريعة الله ورسوله بل يفقد على الفور أهليته
لمنصب الخلافة .

(٢) العدل من الحكام :

المبدأ الثانى الأساسى من مبادئ الحكم الذى تقوم عليه الخلافة
الالهية هو العدل من الحكام، وهى احدى القواعد الأساسية التى قامت
عليها الدولة الاسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عهد
جميع الخلفاء الراشدين التى اشرنا اليها من قبل، وأن جميع الناس
سواسية امام قانون الله، وليس هناك أى فرد أو طبقة من الناس فوق

القانون، فلا بد من تنفيذه على الجميع من أدنى فرد فى الدولة الى رئيس الحكومة بدرجة واحدة، ولا مجال فيه للمحسوبية أو المحاباة .
وقد أقر الخليفة الأول أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - بهذا المبدأ الأساسى فى أول خطبة القاها عقب البيعة له :
فقال :

« الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ،
والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله » .
ووصى أبوبكر - رضى الله عنه - يزيد بن ابى سفيان - رضى الله عنه - لما بعثه الى الشام :

«يازيد ان لك قرابة عسيت تؤثرهم بالامارة، وذلك أكبر ما أخاف عليك، فان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
ومن ولى من أمور المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة له بغير حق فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدا من مال أخيه محاباة له فعليه لعنة الله -
أو قال - برئت منه ذمة الله ،» (١٨)

وأوصى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الخليفة من بعده فقال:
« وأوصيك ان تخشى الله فى الناس ، ولا تخشى الناس فى الله . وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فان ذلك باذن الله - سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير فى عاقبة أمرك ،
وأمرك ان تشتد فى أمر الله، وفى حدوده ومعاصيه، على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك فى أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه، واجعل الناس سواء عندك، لا تبالى على من وجب الحق ولا تأخذك فى الله لومة لائم، وإياك

والاثرة والمحابة.....» (١٩) .

وقال فى خطبة له :

«..... فلا يقولن أحد منكم ان عمر تغير منذ ولى، اعقل الحق من
نفسى واتقدم وابين لكم أمرى، فايما رجل كانت له حاجة أو
ظلم مظلمة او عتب علينا فى خلق فليؤذنى فانما انا رجل
منكم» (٢٠) .

وكتب عمر - رضى الله عنه - الى عماله ان يوافوه بالموسم،
فوافوه، فقام فقال: «يا ايها الناس انى بعثت عمالى هؤلاء ولاة بالحق
عليكم، ولم استعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من دمائكم ولا من
أموالكم، فمن كانت له مظلمة عند أحد منهم فليقم، قال: فما قام من
الناس يومئذ الا رجل واحد، فقال: يا أمير المؤمنين عاملك ضربنى مائة
سوط، فقال عمر: أتضربه مائة سوط قم فاستقد منه، فقام اليه عمرو بن
العاص فقال له : يا أمير المؤمنين انك ان تفتح هذا على عمالك كبر
عليهم، وكانت سنة يأخذ بها من بعدك، فقال عمر: الا اقيده منه وقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه قم فاستقد . فقال
عمرو: دعنا اذا فلنرضه قال فقال: دونكم! قال فارضوه بان اشتريت منه
بمائتى دينار كل سوط بدينارين» (٢١) .

وكتب عثمان - رضى الله عنه - الى عماله وولاته والعامة فقال :

«أما بعد ان اعدل السيرة ان تنظروا فى أمور المسلمين
وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم » .

وقال ايضا :

«اما بعد، فان الله خلق بالحق، فلا يقبل الا الحق، خذوا
الحق واعطوا الحق به، والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا

أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم
والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فان الله خصم لمن
ظلمهم»، (٢٢) .

وكتب على - رضى الله عنه - الى الأشتر النخعي حين ولاه
على مصر :

«أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلک،
ومن لك هو فيه من رعيتک، الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله
كان الله خصمه دون عباده ، وليس شىء أدعى الى تغيير
نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم، فان الله يسمع دعوة
المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد» (٢٣) .

وكتاب آخر له :

«..... ثم انظر فى امور عمالك، فاستعملهم اختيارا، ولا تولهم
محاباة وأثرة، فانهم جماع من شعب الجور والخيانة» (٢٤)
ووصية على لعبد الله بن عباس - رضى عنهما - حين استعمله
على البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل :

«أوصيك بتقوى الله عزوجل ، والعدل على من ولاك الله
أمره»، (٢٥) .

(٣) المساواة بين المسلمين :

ويتفرع من المبدأ السابق مبدأ آخر كان من المسلّمات المعمول
بها فى الدولة الاسلامية آنذاك ، هذا المبدأ هو أن جميع المسلمين
متساوون فى الحقوق تماما دون الاعتبارات اللونية أو الجنسية أو
العصبية أو اللغوية أو الوطنية، وجعل التفاضل بين المسلمين على
أساس التقوى و العمل الصالح، فلا يتمتع أى فرد أو طبقة بامتيازات
خاصة دون سائر المسلمين فى الدولة الاسلامية .

كما قال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فى الخطب المختلفة له:
 ,,وأيآكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب، ثم الى التراب يعود
 ثم يأكله الدود، .

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه فى خطبة له : ,,ما أنا إلا
 رجل منكم، ولولا انى كرهت ان ارد أمر خليفة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لما تقلدت امركم، (٢٦) .

وصيته لسعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما :
 ,,فإنّ الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم
 ووضعهم فى ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية
 ويدركون ما عنده بالطاعة ، (٢٧) .

وكتابه الى أبى موسى الأشعري - رضى الله عنهما :
 ,, فانما انت رجل منهم، غير ان الله جعلك أثقلهم حملا،
 وقد بلغنى انه قد نشأ لك ولاهل بيتك هيبة فى لباسك، ومطعمك
 ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فايآك يا عبدا لله ان تكون بمنزلة
 البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم إلا التسمن، وانما حتفها فى
 السمن، واعلم ان العامل اذا زاغ ، زاغت رعيته و أشقى الناس من
 شقيت به رعيته، (٢٨) .

وقال على - رضى الله عنه - فى خطبة عقب البيعة له :
 ,,ايها الناس انما انا رجل منكم، لى مالكم وعلى
 ما عليكم فانتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم
 بالسوية، ولا فضل لأحد على أحد وللمتقين عند الله أحسن الجزاء. .
 (٤) تصور الحكم :

كيف كان تصور أولئك الخلفاء للحكم، وكيف كان تفكيرهم فيما
 يتعلق بواجباتهم وحقوقهم ومناصبهم، كل هذه الأمور كانوا يبينونها

بأنفسهم لعمالهم ورعاياهم فى خطبهم ورسائلهم، وتصور الحكم عند الخلفاء الراشدين يختلف عن تصور الحكم فى النظم الأخرى اختلافا أساسيا فإن الخلفاء لم يروا أعباء الخلافة أو أى منصب فى الدولة مغنا ولم يعتبروها وسيلة لكسب المال والجاه والمنزلة بل عدوها أمانة فى عنقهم وابتلاءً من الله و،، حملا ثقيلًا وأمرًا متعبًا كريها شديداً،، ولم يروا أن قيامهم بالحكم يجعل لهم حقوقًا وامتيازات ليست لسائر الناس، ونلاحظ هذا التصور من خلال خطبهم ورسائلهم التى كتبوها الى عمالهم وولاتهم .

فقال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -

فى وصيته لعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - لما اراد

استخلافه :

،،أتى ادعوك الى أمر متعب لمن وليه، فاتق الله يا عمر بطاعته واطعه بتقواه، فان التقى (أمر) محفوظ، ثم ان الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك ان تنقطع أمنيته وان يحبط به عمله، فان انت وليت عليهم أمرهم فان استطعت ان تجف يديك من دمائهم ، وان تضرم بطنك من أموالهم، وان تجف لسانك عن أعراضهم فافعل ولا قوة الا بالله،، (٢٩)

و،،الأمر،، هنا بمعنى ،،الخلافة،، وعمل به بمعنى ،،قام بحقه،،. وقد

أوصى أبو بكر عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - حين استعمله على

الجيوش الى الشام وفلسطين قائلا له :

،،يا عمرو اتق الله فى سرائرك وعلائيتك - واستحيه، فانه يراک

ويرى عملك فكن من عمال الآخرة وارد بما تعمل وجه الله

وكن والدا لمن معك، ولا تكشفن الناس عن أستارهم واكتف

بعلايتهم» (٣٠) .

وكما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
 «ما انا الا رجل منكم ولولا انى كرهت ان ارد امر خليفة رسول
 الله لما تقلدت امركم» .

وقال ايضا :

«انى وليت عليكم ولست بخيركم، فان استقمت فاتبعونى وان
 زغت فقومونى ، لا أقول انى أفضلكم فضلا ولكنى أفضلكم
 حملا» (٣١) .

ووصيته لأبى عبيدة بن الجراح - رضى الله عنهما :
 «..... قد ابلاك الله بنى وابلانى بك، فغمّض بصرى عن الدنيا
 وآله قلبك عنها » (٣٢) .

ووصيته لسعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما :
 «انى قد وليتكم حرب العراق فاحفظ وصيتى، فانك تقدم على
 أمر شديد كرهه لا يخلص منه الا الحق » (٣٣) .

كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما :
 «انا خططنا لك دارا عند المسجد الجامع» . فكتب عمر اليه :
 «أتى لرجل من الحجاز أن تكون له داره بمصر، وامره ان يجعلها
 سوقا للمسلمين » وكذا فى الكنز (٣ : ١٤٨) .

وقال عمر - رضى الله عنه - فى احدى الخطب له :
 «وانى لا أجد هذا المال يصلحه الا خلال ثلاث : ان يؤخذ
 بالحق، ويعطى فى الحق ويمنع من الباطل ، وانما انا ومالكم
 كولى اليتيم، ان استغنيت استعفت، وان افتقرت
 أكلت بالمعروف

ولكم على أيها الناس ، خصال اذكرها لكم فخذونى بها : لكم على ان
 لا اجتبى شيئا من خراجكم ولا مما افاء الله عليكم الا من وجهه، ولكم

على اذا وقع يدى ان لا يخرج منى الا فى حقه،، (٣٥) .
وقال عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فى أول خطبة ألقاها بعد
البيعة له :

،، اما بعد ، فانى قد حملت وقد قبلت ،،

وكتب الى عماله وولاته العامة :

،، اما بعد، فان الله امر الأئمة ان يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم ان
يكونوا جباة وأن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة لم يخلقوا جباة،، (٣٦) .

وخطبة على - رضى الله عنه - عقب البيعة له :

،، أيها الناس انما انا رجل منكم، لى مالكم وعلّي ما عليكم،، .

وكتابه الى احد العمال :

،،..... ووالى الامر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد

استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم.....

ولا تقولن انى مؤتمر أمر فأطاع، فإنّ ذلك ادغال فى القلب،
ومنهكة للدين، وتقرب من الغير، واذا احدث لك ما أنت فيه من
سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر الى عظم ملك الله فوقك، وقدرته
منك، على مالا تقدر عليه من نفسك .

اياك ومساماة الله فى عظمته، والتشبه به فى جبروته، فان

الله يذل كل جبار ويهين كل مختال،، (٣٧) .

ومن كتاب له رضى الله عنه الى عماله على الخراج :

،، فانصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان
الرعية ووكلاء الأمة ، وسفراء الائمة ولا تحشموا أحدا عن
حاجته ولا تحبسوه عن طلبته،، (٣٨)

(٥) عدم احتجاب الحاكم عن الرعية :

ويتفرّع من المبدأ السابق مبدأ آخر وهو أنه ليس بين الحاكم والمحكومين أى حاجز أو حجاب، فإن الحواجز والحجب بين الراعى والرعية تؤدى الى عدم المعرفة للحاكم بأمر الناس فيصبح كل شىء مقلوبا فى نظره، تصبح الحسنة سيئة والسيئة حسنة والكبير صغيرا والصغير كبيرا . فلا يعرف هؤلاء الحكام والعمال أحوال الناس حق المعرفة لأنهم لا يباشرون أمورهم بأنفسهم ودائما يعتمدون على الحاشية والخونة والمتملقين فكيف يمكن لهم أن يعدلوا بين الناس، وأما الخلفاء الراشدون فكانوا أقرب الناس الى الرعية وأعلمهم بأحوال البرية . ولم يألوا جهدا فى البحث عن مشاكل الأفراد أو الجماعات والمبادرة الى حلها العادل . ولما قدم أبو بكر -رضى الله عنه - مكة فى خلافته جلس قريبا من دار الندوة وقال: ,,هل من أحد يشكو مظلمة أو يطلب حقا، (٣٩) .

واقام عمر -رضى الله عنه- موازين العدل حتى قال قائل : (وقد رآه نائما فى العراء - ولا يفعل هذا حاكم -) ,,عدلت فامنت، فنمت يا عمر، . وكان سيدنا على -رضى الله عنه - يخرج الى أسواق الكوفة ومعه درّة يمشى بها ينهى الناس عن المنكرات ويأمرهم بالخيرات ويحرص على ان لا يرتكب التجار خيانة فى البيع (٤٠) .

وكتب عمر -رضى الله عنه - الى أبى موسى الأشعري -رضى الله

عنه :

,,عد مريض المسلمين، واحضر جنائزهم، وافتح بابك، وباشر امورهم بنفسك، فانما انت رجل منهم غير ان الله جعلك انقلهم حملا ،، (٤١) .

وأوصى عمر -رضى الله عنه - الخليفة من بعده فقال :

«... ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قوتهم ضعيفهم» (٤٢).

وكتب على - رضى الله عنه - الى أحد ولاته فقال :

«أما بعد، فلا تطولن حجابك على رعيتك، فان احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم من الأمور، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل» (٤٣).

(٦) محاسبة الحكام :

وكان الخلفاء يرون أنفسهم مسئولين أمام الله وأمام الناس، ويحاسبون أنفسهم ويعرضون ذواتهم على الناس للحسبة وعدوا جميع المناصب فى الدولة وأموال المسلمين أمانة، فاهتموا بتعيين الحكام والعمال شديدا، ثم يراقبون عمالهم مراقبة شديدة ويحاسبونهم محاسبة عنيفة، ومحاسبة الحكام هى احد المبادئ الأساسية للخلافة الالهية فنجد بطبيعة الحال هذا التصور واضحا فى الخطب والرسائل .
كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقال :

«يا يزيد اتك شاب تذكر بخير قد رثى منك، وذلك لشيء خلوت به فى نفسك وقد أردت أن ابلوك واستخرجك من أهلك، فانظر كيف انت وكيف ولايتك، و أخبرك، فان أحسنت زدتك، وان أسأت عزلتك، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد» (٤٤).

وكان عمر - رضى الله عنه - اذا استعمل عاملا كتب له، واشترط عليه ان لا يركب برزونا ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقا، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات فان فعل فقد حلت عليه العقوبة (٤٥).

وقال عمر - رضى الله عنه فى خطبة له :

«انا مسئول عن أمانتى وما انا فيه، ومطلع على بحضرتى بنفسى ان شاء الله، لا اكله الى أحد ولا استطيع ما بعد منه الاّ بالامناء واهل النصح منكم العامة، ولست اجعل أمانتى الى أحد سواهم ان شاء الله»، (٤٦).

وكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص رضى الله عنهما - وكان عامله على مصر :

«من عبد الله عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ، سلام عليك اّمّا بعد، فاته بلغنى انك فشت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد، وعهدى بك قبل ذلك ان لا مال لك، فاكتب الى من اين اصل هذا المال ولا تكتمه»، (٤٧).

وعلى الحاكم أو العامل ان لا يترفع عن الرعية فى ملبسه أو مسكنه أو مأكله أو مركبه وقصار القول فى عشرته، وان فعل ذلك يحاسب ويعاقب عليه .

ومرة كتب عمر الى عمر بن العاص - رضى الله عنهما :
«اما بعد، فانه بلغنى انك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب الناس، او ما بحسبك ان تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك لما كسرته»، (٤٨).

وكتابه الى ابى عثمان النهدي فى ان لا يترفع عن الرعية :
«يا عقبه بن فرقد! أنه ليس من كدك، ولا من كد أبيك، ولا كد أمك فاشيع المسلمين فى رحالهم مما تشيع منه فى رحلك، وإياكم والتّنعّم وزىّ أهل الشرك ولبوس الحرير»، (٤٩).

وقال سيدنا على - رضى الله عنه - فى احدى الخطب له :
«اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده، انكم مسئولون حتى عن

البقاع والبهائم، .

ووصيته لأحد ولاته فقال :

«ثم انظر فى امور عمالك، فاستعملهم اختبارا، ولا توليهم محاباة وأثرة.

— وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم فى الاسلام المتقدمة، فانهم أكرم أخلاقا، وأصح أعراضا وأقلّ فى المطامع أشرافا، وأبلغ فى عواقب الأمور نظرا، ثم اسبغ عليهم الارزاق، فانّ ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ماتحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك، ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم .

— فان أحد منهم بسط يده الى خيانة، اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك واكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة فى بدنه، واخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة وسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة « (٥٠) .

ومن كتاب له الى بعض عماله :

«أما بعد، فقد بلغنى عنك أمر ان كنت فعلته اسخطت ربك وعصيت امامك واخزيت أمانتك بلغنى انك جردت الأرض فاخذت ما تحت قدميك وأكلت ماتحت يديك، فارفع الى حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب

الناس والسلام»، (٥١).

حكومة الشورى :

ان الشورى تعنى تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة فى قضية من القضايا - واختيارها من أصحاب العقول

والافهام حتى يتوصل الى الصواب منها، أو الى أصوبها وأحسنها
ليعمل به لكي يتحقق أحسن النتائج .

ان امتناع الحاكم أو الأمير عن استشارة غيره من أهل الشورى،
والتشبث برأيه يعد استبدادا، والاستبداد يؤدي الى الظلم، والحاكم مهما
بلغ من رجاحة العقل وسعة الاطلاع وكثرة العلم والخبرة فان رأيه يكون
أقل صوابا فيما لو استبد به، مما لو استشار أصحاب العقول والخبرة،
وأشركهم في أمره، ذلك لان الحاكم اذا استبد برأيه ولم يستشر غيره
تأثر بهواه، ومن تأثر بهواه فقد ابتعد عن الحق والصواب ، وكان
الخلفاء الراشدون يستشيرون أهل الشورى في الأمور العامة ولا
يستبدون برأيهم بل يفتحون باب الحوار الحر حتى يقتنع المختلفون
برأيهم ، وحكومة الشورى هي احدى المبادئ الأساسية للخلافة
الالهية التي استنبطناها من الخطب والرسائل، فأقر الخلفاء بذلك
المبدأ الأساسي في رسائلهم التي وجهوها الى عمالهم .

كتب أبو بكر الصديق الى عمرو بن العاص رضى الله عنهما:

«انى كتبت الى خالد بن الوليد ليسر اليك مدداً لك، فاذا قدم

إليك فاحسن مصاحبتك، ولا تطاول عليه، ولا تقطع الامور دونه لتقدمي
اياك عليه وعلى غيره، شاورهم ولا تخالفهم» (٥٢).

ووصيته لشرحبيل بن حسنة - رضى الله عنهما - وكان أحد الأمراء

فقال :

«فاذا نزل بك أمر تحتاج فيه الى رأى التقى الناصح فليكن أول

من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وليك ثالثا

خالد بن سعيد، فانك واجد عندهم نصحا وخيرا، واياك

واستبداد الرأى عنهم أو تطوى عنهم بعض الخير» (٥٣).

ان عمر عزم على توجيه خيل الى العراق، فدعا أبا عبيدة بن

مسعود وامره بالمسير الى العراق، وكتب الى المثني بن حارثة ان ينضم

معه اليه ووجه مع أبي عبيدة سليط بن قيس ، وقال لابي عبيدة: ،،قد بعثت معك رجلا هو أفضل منك اسلاما، فاقبل مشورته،،(٥٤) .

وقال فى خطبة أخرى له :

،،ان الله عزوجل قد جمع على الاسلام أهله، فألف بين القلوب وجعلهم فيه اخوانا ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيع من شيع اصاب غيره، وكذلك يحق على المسلمين ان يكون أمرهم شورى بينهم بين ذوى الرأى منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعا لهم، يا أيها الناس انى انما كنت كرجل منكم حتى صرفنى ذوالرأى منكم عن الخروج،،(٥٥) .

وكتب الى سعد : ،، قد وجهت اليك أو امددتك بألفى رجل عمر بن معديكرب و طليحة بن خويلد - رضى الله عنهما - وهو طليحة بن خويلد الاسدى فشاورهما فى الحرب ولا تولهما شيئا،،(٥٦) .

ومن خطبة على - رضى الله عنه :

،،أيها الناس انه من يتفقر افتقر، ومن يعمر يبلى، ومن لا يستعد للبلاء اذا ابتلى لا يصبر، ومن ملك استأثر، ومن لا يستشير يندم،،(٥٧) .

وكتاب على - رضى الله عنه الى أحد عماله فقال :

،،لا تعجلن على تصديق ساع، فان الساعى غاش وان تشبه بالناصحين ، ولا تدخلن فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزين لك الشر بالجور،،(٥٨) .

(٨) الطاعة من المحكومين :

ان الطاعة من المحكومين هي احدى القواعد الأساسية التي تقوم عليها الخلافة الالهية ، والطاعة تكون في المعروف. وليست هي الطاعة المطلقة لأوامر الخليفة ولا هي الطاعة الدائمة حتى ولو ترك شريعة الله ورسوله، ولكن الطاعة للحاكم مقيدة باقامة كتاب الله تعالى، وعلى المحكومين ان يطيعوا اميرهم مادام الأمير يأمرهم وفقا لكتاب الله وسنة رسوله، وقد لاحظنا ذلك التصور خلال الخطب والرسائل، وكما قال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه :

„فأطيعوني ما أطعت الله، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم“ .

وقال فى خطبة أخرى له :

„السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم فانه من يطع والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقد أفلح، وأدى الذى عليه من الحق“، (٥٩) .

وقال سيدنا عمر - رضى الله عنه - فى خطبة له :

„فانه لم تبلغ منزلة ذى حق أن يطاع فى معصية الله “
وقال أيضا :

„فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعالهم“، (٦٠) .

وقال على رضى الله عنه - حينما بويع بالخلافة:

„أيها الناس بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلى، وانما الخيار قبل ان تقع البيعة، فاذا وقعت فلا خيار، وانما على الامام الاستقامة، وعلى الرعية التسليم، وان هذه بيعة عامة، من ردها

رغب عن دين الاسلام وانها لم تكن فلتة“، (٦١)

ومن كتاب على الى أمرائه على الجيوش : ,, من عبدالله على ابن
أبي طالب أمير المؤمنين، الى أصحاب المسالِح، اما بعد، فان حقا على
الوالى ان لا يغيره على رعيته فضل ناله، ولا طول خَصَّ به وأن يزيد ما
قسم الله له من نعمه دنوًا من عباده وعطفا على اخوانه، الا وان لكم
عندى ان لا احتجز دونكم سرًا الا فى حرب ولا أطوى دونكم أمرا الا
فى حكم، ولا أؤخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دوم مقطعه. وان
تكونوا عندى فى الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة
ولى عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا فى صلاح،، (٦٢) .

٩) حرية النقد والتعبير عن الرأى :

حرية النقد والتعبير عن الرأى هى احدى القواعد الأساسية
للخلافة الالهية التى استنبطناها من الخطب والرسائل، فقال أبو بكر
الصديق - رضى الله عنه - فى أول خطبة ألقاها لما تمت له البيعة:
,,فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقوّمونى، الصدق أمانة
والكذب خيانة،،

وهذا صريح فى أن ابابكر الصديق - رضى الله عنه - يقرّ بحق
الرأى العام فى مراقبته وارشاده.

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين تولى الخلافة:
,,فان استقمت فاتبعونى، وان زغت فقوّمونى ،، وهكذا اقر بمبدأ
حرية النقد والتعبير عن الرأى كمبدأ أساسى للحكم الاسلامى .
ومرة قال : ,,أحبّ الناس الىّ من رفع اليّ عيوبى،، (٦٣) .

وذات مرة كان عمر - رضى الله عنه - يخطب فى الناس وهو
خليفتهم فذكر للناس ان لهم ان يقوّموه ان رأوا فى تصرفاته عوجا :
,,ان رأيتم فيّ اعوجاجا فقوّمونى ،، فقال رجل من عامة
المسلمين:

«لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيفونا»، فقال عمر رضى الله عنه :

«الحمد لله الذى جعل فى رعية عمر من يقومه بحد سيفه»، (٦٤) .

وغنم المسلمون أبراداً يمانية فخصه برد، وخص ابنه عبدالله برد - كأي رجل من المسلمين - ولما كان الخليفة فى حاجة الى ثوب، فقد تبرع له عبدالله ببرده ليضمه الى برده فيصنع منهما ثوباً. ثم وقف يخطب فى الناس وعليه هذا الثوب .

فقال : « ايها الناس اسمعوا وأطيعوا»، فوقف سلمان فقال :

«لاسمع لك علينا ولاطاعة»، قال عمر : « ولم ؟ قال : سلمان :

«من أين لك بهذا الثوب»، ، وقد نالك برد واحد وانت رجل

طوال»، قال : « لا تعجل » ، ونادى : « يا عبدالله ! » فلم يجبه

أحد (فكلمهم عبدالله) قال : « يا عبدالله ابن عمر ! قال لبيك

يا أمير المؤمنين ! قال : ناشدتك الله البرد الذى ائتسرت به أهو

بردك قال : اللهم نعم . قال سلمان : الآن مر نسمع ونطع»، (٦٥)

وقال على - رضى الله عنه فى خطبة جامعة له :

«الا انّ الصديق على شرف منجاة وكرامة، وان الكذب على شرف

ردى وهلكة ، الا وقولوا الحق»، (٦٦) .

(١٠) هدف وجود الدولة :

ان مهمة الخلافة الالهية ليست مهمة رجال الشرطة فحسب من حيث الضبط والربط واقرار النظام وحفظ الحدود بل هى دولة ذات هدف وغاية، وان اول واجب على الحاكم وحكومته فى الدولة الاسلامية هو ان ينفذ نظام الحياة الاسلامى تنفيذاً تاماً دون نقص أو تغيير، وأن يأمر بالمعروف وينشر الخير ويحقق العدل الاجتماعى ويقضى على

الشُرور والمفاسد طبقا لمعايير الأخلاق الإسلامية ، وقد بين الخلفاء هدف وجود الدولة الإسلامية بدعوتهم الى الخير واتباع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فى خطبهم الجامعة ورسائلهم .

فقال أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - فى خطبة جامعة له :

«أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم وهداكم به ،..... قد بين لكم فى كتابه حلاله وحرامه، وما يحب من الأعمال وما يكره، فانى لا الوكم ونفسي، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة الا بالله، واعلموا انكم ما اخلصتم به من أعمالكم ضربكم اطعتم..... ان الله ليس له شريك، وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوء الا بطاعته واتباع امره» (٦٧).

وقد اوضح عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - هدف وجود الخلافة

الالهية بكل وضوح فى خطبه ورسائله فقال :

«اما بعد وان احق ما تعاهد الراعى من رعيته ان يتعاهدهم بما لله عليه من وظائف دينهم الذى هداهم الله له، وانما علينا ان نأمركم بما امركم الله به من طاعته وننهاكم عما نهاكم الله من معصيته وان نقيم امر الله عزوجل فى قريب الناس وبعيدهم ولا نبالى على من مال الحق ..» .

ان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خطب الناس يوم الجمعة

فقال:

«اللهم انى اشهدك على امراء الامصار، انى انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم وان يقسموا فيهم فيأهم وان يعدلوا فان أشكل عليهم شيع رفعوه اليّ» (٦٨) .

وكان عمر اذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول :

«انى لم استعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على اشعاركم ولا على ابشاركم انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بينهم بالعدل»، (٦٩).

وقد بين سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - هدف وجود الدولة الاسلامية فى أول خطبة عقب البيعة له، فقال:

«اما بعد وان لكم عليّ بعد كتاب الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا، اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم وسننتم، وسن اهل الخير فيما لم تسنوا عن ملاء، والكف عنكم الا فيما استوجبتم» .

وقال سيدنا على - رضى الله عنه - فى خطبة عقب البيعة له :

« ايها الناس انى حاملكم على منهج نبيكم ومنفذ فيكم ما امرت به »

وقال فى خطبة اخرى له :

«واقعدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم، فانه افضل الهدى، واستسنوا بسنته فانها افضل السنن، وتعلموا كتاب الله فانه افضل الحديث وتفقهوا فى الدين فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء لما فى الصدور»، (٧٠).

(١١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

من أهم خصائص الخلافة الالهية والتي كانت ضامنا لسير الدولة فى الوجهة السليمة هى حق الفرد فى المجتمع الاسلامى فى ان يقول كلمة الحق ويأمر بالمعروف ويحرم الخير وان يبذل ما فى وسعه لمنع المنكر والضرب على يد الباطل ، فنلاحظ فى الخطب والرسائل ان الخلفاء الراشدين دائما يأمرون الناس والولاة بالمعروف وينهونهم عن

المنكر ويذكرونهم بتقوى الله، ولم يغفل هؤلاء الخلفاء لحظة عن تذكير الناس والعمال بذلك المبدأ الأساسى الذى تقوم عليه الخلافة الالهية. فكتب أبو بكر الصديق الى عمرو بن العاص والى الوليد بن عقبة و أوصى كل واحد منهما بوصية واحدة فقال : ,, اتق الله فى السر والعلانية ... فان تقوى الله خير ما توأصى به عباد الله ، انك فى سبيل من سبيل الله لا يسعك فيه الادهان والتفريط ولا الغفلة عما فيه قوام دينكم وعصمة أمركم فلا تن ولا تغتر ,, (٧١) .

وقال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه فى خطبة :

,,واياكم واتباع الهوى - واياكم والفخر فاعملوا يوما بيوم، وساعة بساعة، وتوقوا دعاء المظلوم، وعدوا انفسكم فى الموتى، واصبروا فان العمل كله بالصبر، واحذروا والحذر ينفع، واعملوا والعمل يقبل، واحذروا واحذروا ما حذرکم الله من عذابه,, (٧٢) .
و اوصى عمر - رضى الله عنه - الخليفة من بعده فقال :
,,أوصيك بتقوى الله لا شريك له، و أوصيك بالمهاجرين الاولين خيرا. وأوصيك بالانصار خيرا وأوصيك بأهل البادية خيرا، و أوصيك باهل الذمة خيرا وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه، ومخافة مقتنه، وأوصيك ان تخشى الله فى الناس ,, (٧٣) .

ورسالة عمر الى أبى موسى الأشعري - رضى الله عنهما:

,,أس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك ,, .

ووصيته لعمرو بن العاص - رضى الله عنهما :

وويا عمرو اتق الله فى سرائرك وعلانيتك واستحيه فانه يراک ويرى عملك - فكن من عمال الآخرة وارد بما تعمل وجه الله
وإذا وعظت اصحابك فاجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك,,.

ووصيته لسعد بن ابي وقاص - رضى الله عنهما :

«فعود نفسك ومن معك الخير، واستفتح به ..»

ومن وصيته رضى الله عنه للحسن والحسين رضى الله عنهما لما

ضربه ابن ملجم :

«واياكم والتدابير والتقاطع ، لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر ، فيولى عليكم اشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب

لكم» (٤٧) .

(١٢) الرحمة واللفظ والرفق بالرعية :

وكانت احدى المبادئ الاساسية للخلافة الالهية فى عهد الخلفاء

الراشدين هى الرحمة واللفظ والرفق بالرعية . والصلة بين الراعى

والرعية - فى عهدهم - لم تكن كصلة الحاكم والمحكوم فى النظم

الأخرى، لان الخلفاء كان لهم تصور خاص للحكم غير الذى نجده فى

الانظمة البشرية الأخرى، وكان هؤلاء بمثابة آباء للرعية يربونهم

ويرعونهم كترية الوالد ورعايته لأولاده، ويحملون كل الشفقة والرحمة

واللطف برعاياهم، وساروا على تلك السياسة فى حكوماتهم ، وارشدوا

عمالهم فى الولايات الى ان يتخذوا ذلك الموقف من الرعية .

ووصية أبى بكر الصديق لعمر بن العاص - رضى الله عنهما - حين

استعمله على الجيوش الى الشام فقال :

«وكن والدا لمن معك ، ولا تكشفن الناس عن استارهم واكتف

بعلائيتهم» (٧٥) .

ووصيته لعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - لما أراد استخلافه:

فقال :

«فان انت وليت عليهم امرهم فان استطعت ان تجف يديك من

دمائهم ، وان تضمر بطنك من اموالهم ، وان تجف لسانك عن

اعراضهم» (٧٦) .

وقال عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فى احدى الخطب له :
 ,,اتقوا الله عزوجل، فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده،
 واحذروا من الله الغير والزمو جماعتكم ولا تصيروا احزابا» (٧٧) .
 وامر سيدنا عثمان - رضى الله عنه - المسلمين بالأمر بالمعروف
 والنهى عن المنكر :

,,فقد اخرج ابن أبى شيبه عن عثمان - رضى الله عنه قال : مروا
 بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل ان يسلط عليكم شراركم
 ويدعوا عليهم خياركم فلا يستجاب لهم» (٧٨) .
 وأخرج البيهقى عن زيد بن الصلت انه سمع عثمان وهو على
 المنبر يقول :

,,يا أيها الناس اياكم والميسر - يريد النرد - فانها قد ذكرت لى
 انها فى بيوت ناس منكم، فمن كان فى بيته فليحرقها او
 يكسرها، وقال: انى قد كلمتكم فى هذا النرد، ولم اركم قد
 اخرجتموها، فلقد هممت ان امر بحزم الحطب ثم ارسل الى
 بيوت الذين هن فى بيوتهم فأحرقها عليهم» (٧٩) .
 وفى احدى الخطب رضى الله عنه :

,,فحمد الله واثنى عليه، ثم قال : أيها الناس انما هلك من كان
 قبلكم بركوبهم المعاصى، ولم ينهم الربانيون والاحبار، انزل الله
 بهم العقوبات، الا فمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل ان
 ينزل بكم الذى نزل بهم ، واعلموا ان الامر بالمعروف والنهى
 عن المنكر لا يقطع ازقا، ولا يقرب اجلا» (٨٠) .

وكتب عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة ابن الجراح - رضى الله

عنهما :

،،لاتقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة، ولا تنزلهم منزلا قبل ان تستريده لهم وتعلم كيف ماتاه،، (٨١) .
وقد أوصى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لولى الامر من بعده :

،،انشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم، ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفى فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم،، (٨٢) .

وكتب عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الى عماله وولاته :
،،اما بعد، فان الله امر الأئمة ان يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم ان يكونوا جباة،، .

ولما اشتد الحصار به يوم الدار فقال الناس : نمرنا فلنقاتل ! فقال عثمان رضى الله عنه :

،،انشد الله رجلا رأى لله حقا واقرا ان لى عليه حقا ان يهريق فى سببى ملء حجمة من دم أو يهريق دمه فيّ،، (٨٣) .
ودخل عبدالله بن عمر على عثمان بن عفان - رضى الله عنهم فقال له : زها انا ! طوع يدىك يا أمير المؤمنين، فمرنى بما شئت، فقال عثمان رضى الله عنه :

،،جزاكم الله يا آل عمر خيرا مرتين لاحاجة لى فى اراقة الدم لاحاجة فى اراقة الدم،، (٨٤) .

وكتب على - رضى الله عنه - الى بعض عماله:
،،واخفض للرعية جناحك وابسط لهم وجهك والن لهم جانبك،، (٨٥) .

وكتب الى الأشتر النخعى لما ولاه على مصر : واشعر قلبك الرحمة

للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكون عليهم سبعا ضاريا تغتمهم
أكلهم»، (٨٦) .

وبعد هذا الاستعراض لمحتويات الخطب والرسائل الرسمية
للخلفاء الراشدين لايسعنا الا أن نقول أنه ليست فترة الخلافة الراشدة
بالتى يمكن تناول كل جوانبها فى مثل هذه المقالة وحسبنا ان نكون
قد اقتبسنا جذوة من ضوئها تهتدى بها الانسانية المتخبطة فى النظم
الوضعية التى لاتزيدها الا صراعا وفراغا روحيا بل و افلاسا ماديا ،
وتتسع الهوة بين الدول فبعضها يغرق فى بحار الثراء وبعضها يموت
عطشا فى العراء .

وفترة الخلافة الراشدة منهل عذب للأديب والمؤرخ والمفكر
السياسى والمشرع وغيره، ممن يريد ان ينهل من هذا الفيض الزاخر
والمعين الدفاق .

ونحن اذ تعرضنا لهذه الفترة انما حاولنا ان نضرب المثل الحى
للخلافة الالهية والشريعة السماوية التى تم تطبيقها على أيدي الخلفاء
الراشدين فعم نورها الآفاق وساد خيرها الانسانية قاطبة، وليس الكلام
نابع عن عواطف أوفارغ عن مضمون علمى بل انما يستند الى واقع
شاهد ماثل للعيان، فليست الخلافة ،،مدينة فاضلة،، نسجها الخيال أو
تصور نقى لما يجب ان يكون بل تطبيق عملى لما جاء به خاتم النبيين
وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . فهذه شمعة على الدرب
نرجوبها من الله المثوبة وجميل الجزاء ونسأله ان ينفع بها ويهدينا
الى سواء الصراط .

هوامش

- ١- ابن قتيبة : الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٦
- ٢- تاريخ ابن الأثير، ج ٢، ص ١٣٨
- ٣- ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٢٩
- ٤- محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة، ج ٤، ص ٢٤٣ - ٢٤٤
- ٥- نفس المرجع ج ٤، ص ٢٣٩
- ٦- نفس المصدر ج ٤، ص ٢٥٠
- ٧- المرجع السابق ج ٤، ص ٢٥٦
- ٨- المرجع السابق ج ٢، ص ٢٧٠
- ٩- نفس المصدر ج ٢، ص ٢٧٢
- ١٠- نفس المصدر ج ٢، ص ٢٧٤ - ٢٧٥
- ١١- نفس المصدر ج ٢، ص ٢٧٦
- ١٢- ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٥، ص ١٤٩
- ١٣- محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٢، ص ٢٧٧
- ١٤- نفس المصدر ج ٤، ص ٢٨٣
- ١٥- نفس المصدر ج ٤، ص ٢٨٨
- ١٦- نفس المصدر ج ٤، ص ٢٩٦ - ٢٩٧
- ١٧- ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ١١٩
- ١٨- محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٢، ص ٢٦٨
- ١٩- الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢، ص ٦٢
- ٢٠- حياة الصحابة ج ٤، ص ٢٦٢
- ٢١- أبو يوسف : كتاب الخراج ص ١٢٥
- ٢٢- ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم ج ٥، ص ٤٤ - ٤٥
- ٢٣- ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ١٢١
- ٢٤- نفس المصدر ج ٤، ص ١٣٤
- ٢٥- ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١، ص ٨٥
- ٢٦- تاريخ يعقوبى ج ٢، ص ١٧
- ٢٧- حياة الصحابة ج ٢، ص ٢٧١ - ٢٧٢
- ٢٨- دكتور حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٢٠
- ٢٩- محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٢، ص ٢٥٩

- ٣٠ - نفس المصدر ج ٢ ، ص ٢٦٣
- ٣١ - تاريخ يعقوبى ج ٢ ، ص ١٧
- ٣٢ - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٢ ، ص ٧١
- ٣٣ - نفس المصدر ج ٢ ، ص ٧٢
- ٣٤ - نفس المصدر ج ٢ ، ص ٢٠٨
- ٣٥ - ابن جرير الطبرى ظ تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ، ص ١٩
- ٣٦ - نفس المصدر ج ٥ ، ص ٤٤
- ٣٧ - ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٤ ، ص ١٢٠
- ٣٨ - نفس المصدر ج ٤ ، ص ١١٥
- ٣٩ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ، ص ١٣٣
- ٤٠ - نفس المرجع ج ٣ ، ص ١٨
- ٤١ - دكتور حميد الله ظ . مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٢٠
- ٤٢ - الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢ ، ص ٦٣
- ٤٣ - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٢ ، ص ٢٨١
- ٤٤ - نفس المصدر ج ٢ ، ص ٢٧
- ٤٥ - السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٢٨
- ٤٦ - حياة الصحابة ج ٤ ، ص ٢٦٢
- ٤٧ - ابن عبد ربه ظ العقد الفريد ج ١ ، ص ٤٦
- ٤٨ - حياة الصحابة ج ٢ ، ص ٢١٢
- ٤٩ - نفس المصدر ج ٢ ، ص ٢٠٩
- ٥٠ - ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٤ ، ص ١٣٤
- ٥١ - نفس المرجع ج ٤ ، ص ٦١
- ٥٢ - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٢ ، ص ٢٦٥
- ٥٣ - نفس المصدر ج ٢ ، ص ٢٦٦
- ٥٤ - أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ص ١١٣
- ٥٥ - حياة الصحابة ج ٢ ، ص ١٦٢
- ٥٦ - نفس المرجع ج ٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٣
- ٥٧ - نفس المرجع ج ٤ ، ص ٢٩٥
- ٥٨ - ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٤ ، ص ١٢٢
- ٥٩ - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٤ ، ص ٢٤٤
- ٦٠ - نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٢
- ٦١ - ابو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٤٠
- ٦٢ - ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٤ ، ص ١١٤ - ١١٥
- ٦٣ - السيوطى ظ تاريخ الخلفاء ص ١٣٠
- ٦٤ - السيد قطب : العدالة الاجتماعية ص ١٨٥

- ٦٥ - نفس المصدر ص ١٨٥
- ٦٦ - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٤، ص ٢٩٨
- ٦٧ - نفس المصدر ج ٤، ص ٢٤٣ - ٢٤٤
- ٦٨ - ابن جرير الطبرى ج ٥، ص ١٩
- ٦٩ - نفس المصدر ج ٥، ص ١٩
- ٧٠ - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٤، ص ٢٩٧
- ٧١ - نفس المصدر ج ٢، ص ٢٦٤
- ٧٢ - نفس المصدر ج ٤، ص ٢٤٤
- ٧٣ - الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢، ص ٦٢
- ٧٤ - ابن أبى الحديد ظ شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ١١١
- ٧٥ - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٢، ص ٢٦٣
- ٧٦ - نفس المصدر ج ٢، ص ٢٥٩
- ٧٧ - نفس المصدر ج ٤، ص ٢٨٢
- ٧٨ - نفس المصدر ج ٣، ص ٢٩١
- ٧٩ - نفس المصدر ج ٤، ص ٢٨٠ - ٢٨١
- ٨٠ - نفس المصدر ج ٤، ص ٢٩٤
- ٨١ - نفس المصدر ج ٢، ص ٢٧١
- ٨٢ - الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢، ص ٦٣
- ٨٣ - حياة الصحابة ج ٢، ص ٢٧٨
- ٨٤ - نفس المصدر ج ٢، ص ٢٨٠
- ٨٥ - ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ١١٠
- ٨٦ - نفس المصدر ج ٤، ص ١٢٠

